٤

WWW.ATTAWEEL.COM

أسئلة الكتاب صـ ٢٠

رحلة ليونهارت راوولف الى العراق وما انطوت عليه من نبات وشجر

دراسة

عادل محمد علي الشيخ حسين

بغداد ـ ص . ب ١٧٠٢٦

منذ الحملات الصليبية على الشرق العربي انتبه الاوربيون الى اهمية الشرق عامة والوطن العربي خاصة باعتبار هذه المناطق مفاتيح كنوز كبيرة معدنية وغذائية وبشرية واقتصادية واسواق رائجة لبضائعها. لذا فقد وصل هذه البقاع العديد من الباحثين والمختصين يدرسون ويبحثون وينقبون عما ضمته هذه الاقطار من ثروات هائلة. ومن اقدم تلك الرحلات العلمية الاوربية الى الشرق بل واهمها رحلة العالم والطبيب الهولندي الدكتور ليونهارت راوولف الى الشرق التي وقعت في النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي. ومع ان الغاية الاساسية من هذه الرحلة كانت ـ كما هو معروف جمع النباتات والاعشاب التي لها علاقة بالطب والعلاج والتي تنو في بلدان الشرق، والشرق الاوسط بالذات فان الجوهر الاصلي لها هو حث اوربا على استعمار هذه البقاع وامتصاص خيراتها بكل الطرق والوسائل وهي بداية السيطرة والاطماع الاوروبية للشرق بأكمله. طبعت هذه الرحلة باللغة الالمانية سنة ١٥٨١م في ليدن ثم طبعت باللغة الانكليزية سنة ١٦٩٣م في لندن، ولم تترجم الى اللغة العربية بالنص الكامل لحد الآن باستثناء ماقام به الاستاذ الفاضل سليم طه التكريتي بترجمة القسم الذي يخص العراق وسوريا وفلسطين ونشر سنة ١٩٧٨ ضمن منشورات وزارة الثقافة والاعلام ومع ان هذا العمل القيم له اهميته ويشكر عليه المترجم الكريم جزيل الشكر فانه لم يصف النباتات الطبية وغير الطبية التي ذكرها الدكتور راوولف وتجشم عناء السفر والصعاب من اجلها وهي اهم مافي الرحلة علمياً وتاريخياً. لذلك فانني سأتناول في هذه الدراسة المتواضعة اهم النباتات والاشجار والشجيرات التي جاءت في سياق رحلة هذا الرحالة الاوروبي والوقوف على فوائدها في اكثر المجالات الطبية والاقتصادية والغذائية.

اهداف الرحلة:

الهدف المعلن لهذه الرحلة التي قام بها الدكتور راوولف الهولندي الى هذه المنطقة من شرقنا العربي هو التعرف وجمع انواع كثيرة من النباتات والاشجار التي تنبت في اراضي هذه البلدان ومن بينها القطر العراقي والتحقق من فوائدها الغذائية وبالاخص الطبية.

وقد حفظت بشكل جيد النباتات التي جمعها راوولف خلال رحلته في اربعة مجلدات ضخمة حيث اعتبرت من اعظم الاشياء النادرة الغالية. واصبحت ملك جامعة ليدن الهولندية.

وحاول راوولف ان يعود لبلده ومعه نماذج كثيرة من نباتات واعشاب بلاد المشرق التي جاءها وركز جلّ اهتمامه على فوائد هذه النباتات الطبية بصورة اساسية للاستفادة منها في صناعة الادوية. وفعلاً تهيأت له بعض المقومات الناجحة لجمع العديد من نماذج نباتات الوطن العربي واعتبرت مصدراً هاماً من مصادر

WWW.ATTAWEEL.COM

دراسة النباتات العربية. ومع ان رحلة ليونهارت راوولف كانت علمية بحتة فانها رحلة قيمة تخللها الصدق والامانة في اكثر الاحيان في الوصف لكل شيء شاهده وبذلك فانها تشكل اساساً لدراسة الاحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية للاقطار التي حل فيها ووصف ماشاهدته عيناه من امور عجيبة وماصادفه من معوقات ومشاكل محزنة احياناً. وهي بحق رحلة جامعة وشاملة ومفيدة. ووثيقة موضوعية عن الوضع العام للقطر العراقي ابان حكم الدولة العثمانية له ولباقي الوطن العربي الكبير. ومن فوائد رحلة المشرق بشكل خاص وصفه لما حل ببغداد من كوارث ووباء الطاعون المميت والجوع المرعب والفيضان المدمر الذي اغرق هذه المدينة الجميلة بطغيانه. وهي فترة حالكة مظلمة مرت بقطرنا العزيز.

بداية الرحلة:

عندما خرج الرحالة راوولف في الثامن عشر من ايار سنة ١٥٧٣م من مدينة اوغسبرغ الهولندية كانت محطته الاولى في الشرق العربي مدينة طرابلس في لبنان. ومن بين ماوصفه عن المصنوعات في هذا القطر العربي صناعة الحرير واشار الى توفر كميات كبيرة من الحرير في مدينة دمشق وذلك لكثرة اشجار التوت او التكي. قال ان هناك «.. كثرة فائقة من اشجار التوت الضخمة الشاهقة ذات الاوراق الكثيرة التي تتغذى عليها دودة القز. علماً ان ثمار التوت هذه تكون بيضاء اللون وتنقل في سلال وتباع للعامة».[٦]

التوت[٧] او الفرصاد:

(الاسم العلمي Morus، والانكليزي Mulberry — tree) اشجار برية وزراعية من فصيلة التوتيات، تنتشر في المناطق الحارة والمعتدلة.

وانواعها المعروفة اكثر من ثلاثين نوعاً واشهرها التوت الابيض Morus alba الذي يربى على اوراقه دود القز وهو الذي وصفه راوولف في رحلته. وعندنا في العراق يسمى التكي وهذا النوع صيني الاصل ونقله العرب الى انحاء العالم الاسلامي خلال الفتوحات العربية الاسلامية.

ووصف اعشاباً يستخرج منها مادة بوتاسية تستخدم في صناعة الصابون سماها شوان (Shvan) وهي غير ذلك قال: «ويستخرج هذا البوتاس او القل من اعشاب يطلق عليها العرب اسم شنان، وهو على نوعين (وقد الصقت شيئاً منه ـ مع مواد اخرى على الورق).

واحد هذين النوعين لايختلف عن نبات القل المعروف عندنا اذ يتألف من نبتة سميكة كثيرة العقد ذات اغصان صغيرة تتفرع منها ولها في رؤوسها عدة عقد ومن تحتها اوراق مدببة.

اما النوع الثاني فتكون سيقانه كثيرة مليئة بالعقد وجذور ملونة.

وينمو هذان النوعان من الاعشاب بكميات هائلة حيث يتم حرقها وتحويلها الى رماد فوق الجبال. وعند حرقها تسيل مادة زيتية تلتصق بالرماد فتصبح صلبة اشبه بالحجارة بعد ان تفقد حرارتها ويجلب المسلمون هذا الرماد من الجبال على ظهور الابل فيبيعونه لبعض التجار الذين يتاجرون به فيصدرون قسماً منه الى البلاد الاجنبية بينما يصنعون من القسم الآخر مادة الصابون».[٣]

والاشنان او الاشنان:

(الاسم العلمي Salicornia) والانكليزي (Saltwort) نبات عشبي من فصيلة السرمقيات له ثمانية أنواع مواطنها حوض البحر الابيض المتوسط والمحيط الاطلسي سيقانها مفصلية دقيقة فروعها متقابلة، عديمة الورق ازهارها سنبلية التجميع. ثمارها خفية الشكل صغيرة يستخرج منها ملح القل بعد الحرق.

والنوع الذي قصده راوولف هو اشنان القل (ابو قابس، خربس Salicornia herbacea).[٤]

وخلال وجوده في منطقة حلب السورية وصف اهم نباتاتها واشجارها الغذائية والصناعية قائلاً: «حلب محاطة بتلال صخرية واوديتها ذات تربة طباشيرية ومع ذلك فلا تموزها الحنطة ولاالشعير وغيرهما من الحبوب لأن ارضها خصبة، ويبدأ الحصاد فيها عادة في شهري نيسان وايار. ولايوجد في هذه الاودية سوى القليل من اشجار البلوط، والاعشاب الجافة، ذلك لان الجفاف فيها شديد وارضها رملية في حين ترى التلال وعرة ملأى بالادغال ليس فيها سوى القليل من العشب الجاف، ولذلك وجدنا السكان يعلفون مواشيهم الشعير والتبن الذي تدوسه ادوات الدراسة التي تجرها الثيران. وكذلك وجدنا الاودية مليئة باشجار الزيتون وهذا هو الذي جعل الاهلين هنا يتجرون في كل سنة مئات الالوف من اطنان زيت الزيتون[٥] الذي يستعمل في صناعة الصابون. والى جانب ذلك توجد بساتين كثيرة لاشجار اللوز والتين والسفرجل والتوت الابيض والفستق الذي يجمعه المسلمون في فصل الربيع بكميات كبيرة فيملحونه

ويقشرونه ويأكلونه مثلما نفعل نحن بنبات الجنجل، جنجل: اعشاب عارشة من فصيلة القراصيات لها نوعان الجنجل الشائع والجنجل الياباني تصل الىٰ ارتفاع ٨ أمتار. وهي من النباتات الزراعية الصناعية اسمها العلمي (Humulus) والانكليزي ـ Hop.

وتكثر بساتين البرتقال والليمون والرمان والخوخ وغيرها غير ان ثمار التفاح والكمثرى تعد قليلة بالنسبة الىٰ الثمار الاخرى وتكون صغيرة الحجم وغير ملونة بالشكل المعروف في بلادنا. ويعقب ذلك وجود كثرة من حاصلات الرقي والبطيخ والخيار وماشاكلها فضلاً عن وفرة انواع الخضار. ولقد شاهدت ثلاثة انواع من الباذنجان تختلف الوانه بين الاسود والبني، والفاصولية وغيرها من الخضار التي تباع بكثرة في الاسواق وتطبخ لتهيئة الطعام اليومي كما انهم كثيراً مايتناولون بعض هذه الخضروات وهي فجة اي دون طبخ.

وهناك نوع من اللوبياء او الكستناء تطبخ او تحمص ثم تنزع قشورها وهم يتناولونها عندما يجلسون في المقاهي، كما يقدمونها علىٰ مائدة الطعام بعد انتهاء الوجبات عوضاً عن الحلويات او الفواكه من امثال الزبيب والجوز وغيرهما.[٣]

ويستمر راوولف في وصف النباتات التي شاهدها قائلاً: «وهناك عدة نباتات تستعمل طعاماً بالطبخ منها العدس. وهذا ذكرني بنبتة مماثلة يسميها العرب «ماش» وهي في شكلها واوراقها تشبه نبتة الفاصوليا عندنا. ولقد اشار «سيرابيو»[٣] الىٰ هذه النبتة باسم «مليس» في الفصل ١١٦ من كتابه كما اشار اليها ابن سينا ايضاً باسم «ميس»[٤] في الفصل ٤٨٨ من كتابه. غير ان العالم النباتي الشهير «كارلوسي كلوفيوس»[٥] سماها في كتابه «موجز النباتات الهندية» باسم «مونغو» وقد وجدت الاتراك يحبون تناول الماش (اسمه العلمي (Phaseolus aureus «= P. mungo» وبالانكليزية (Mung bean) كثيراً ولاسيما مع الرز[٦]. والماش نبات عشبي زراعي حولي من فصيلة القرنيات الفراشية. تنتشر زراعة هذا النبات في انحاء اقطار الشرق. الساق فرعاء قائمة، اوراقه معنقة مركبة ثلاثية. وريقاتها بيضية النصل. الازهار صفر خضر المواج الثمار قرون اسطوانية ضيقة مستطيلة، بزوره كروية الشكل سمراء اللون او خضراء بالاسود. تحوي البذور علىٰ العناصر الغذائية التالية ٢٣,٨٠٪ من المواد الازوتية، ١,٤٦٪ من المواد الدهنية، ٦٢,١٥٪ من المواد النشوية.[٧]

وبعد ذلك تناول راوولف في وصف رحلته الشرقية هذه نباتاً آخر يجلب من بلاد فارس (ايران الحالية) الى مدينة حلب، قال: «وهم يجلبون من بلاد فارس في اكياس من الجلد كميات كبيرة من (المن) يسمونه (طرنجبيل ـ Trunachibill) ويجمعونه من نبتة يسميها العرب «عاقول» و «الحاجي». والحاجي = عاقول، حاج، زنجبيل العجم، اشترغار، الاسم العلمي (Alhagi man-Comel thorn, Hebrew manna) والانكليزي (nifera, Al. maurorum plant) نبات عشبي ليفي معشوشب معمر من فصيلة القرنيات، الساق شائكة فرعاء تصل الىٰ نحو ١٠٠سم، فروعه نحيلة الشوك، اوراقه بسيطة كاملة مستطيلة، وهو من النباتات التي تفرز المن ويقال ان منّ بني اسرائيل كان من فرزه لانه كثير الوجود في صحراء سينا[٨] وهذا هو السبب الذي يجعله يمتزج مع اشواك صغيرة وقش احمر اللون. ولهذا المن شيء من الحبوب احياناً علىٰ غرار حبات (الكزبرة) عندنا. ولذلك فهو في كل مظاهره يشبه (المن) الموجود في بلادنا والذي نجنيه من شجر «اللاركس» كما ان هذا المن يشبه المن الذي تناوله الاسرائيليون الذي وفره الله فكان علىٰ شكل معجزة خارقة للطبيعة. اللاركس = (Larix Deciduam) ومعنىٰ اللاركس باللاتيني المتساقطة الاوراق او المتفضة. واللاركس شجرة مخروطية ارتفاعها بين ٢٥ ـ ٣٠ متراً، سمراء القلف راتنجية. وبزوره بيضوية الشكل سمراء اللون. وموطن هذه الاشجار جبال الالب ووسط وجنوب اوروبا.[٩] وتعرف شجرة اللاركس بالاسم العربي (الارزيّة) وهذا الاسم من وضع الامير مصطفىٰ الشهابي رحمه الله.

اما المن الذي يسقط علىٰ الاشواك فقد اكده كل من (سيرابيو) و (ابن سينا) في الفصول التي تناولا فيها هذه المادة من مؤلفاتهم وكانوا يسمونها (تسريابين) و (طرنجبين). كذلك عرفه العالم النباتي الشهير (كارلوس كلوفيوس) واكده في كتابه (موجز النباتات الهندية) ولقد عثرت في اطراف حلب علىٰ بعض هذه الشجيرات التي يبلغ ارتفاعها حوالي ذراع وتتفرع منها عدة سيقان مدورة تنقسم بدورها الىٰ عدة اقسام كالزهرة ـ ويستخدم الاهلون هذه الشجيرات للتنظيف والتعقيم، اذ إنهم يأخذون كمية منها يغلونها بالماء. طرنجبين ـ ترنجبين ـ مَنّ (manna) مادة من مزيج من السكر والمسنيت والدكستربن تفرزه بعض النباتات

او بواسطة حز اللحاء او بتأثير وخز بعض الحشرات كقرمزية المن وغيرها والطرنجبين انواع عديدة تختلف باختلاف مصادرها وطرق جمعها. وماخلا ذلك فأن لديهم نوعاً آخر من المن شبيه بالنوع السابق. وهذا النوع يرسل الى بلادنا (كالبرية)[١١] عن طريق البندقية.[١٢]

وقد جاء في الدراسات العلمية الحديثة ان المن انواع كثيرة منها:- المن الذي يعرف بأسم (ترنجبين) وهو عسل الندى وهو عبارة عن مادة سكرية تفرزها بعض النباتات افرازاً طبيعياً او بتأثير حشرة قرمزية المن القشرية (الاسم العلمي- Sect coccus manni ferus manna Scale in) ومن اهم[١١] هذه النباتات:

١ ـ الطرفاء النيلية (تكثر في صحراء سيناء) الاسم العلمي (Variety, mannifera) (Tamarix nilotica) ـ من الفصيلة الطرفاوية.

٢ ـ الشيح (الاسم العلمي ـ Artemisia herba — alba) ـ من الفصيلة المركبة (الانبوية الزهر).

٣ ـ الحاج (نوع من العاقول او شوك الجمل) (Alhagi) (تكثر في افغانستان وايران) (الاسم العلمي ـ Alhagi mannifarum) من فصيلة القرنيات. وجاء ذكر هذا النبات في النصوص البابلية والنصوص الآشورية (عثر على نص في كركميش قرب حلب).

٤ ـ شجر الخلاف (الاسم العلمي ـ Salix Viminalis) الاسم الانكليزي (Osier) (نوع من الصفصاف القصير الورق) وينبت في الاماكن الرطبة. ويقع عليه الشيرخشك وهو نوع من المن.

٥ ـ شجرة الميليز (Meliaea) (حبق ترنجاني بادر نجوية) او الترنجان (اغريقية) كما عرفه ابن البيطار، يتبع الفصيلة الشفوية والمستعمل منه الاوراق له رائحة ليمونية ويسيل منه مايسمى (بمن برباتسون).

٦ ـ الخزاز (نوع من الطحالب) وهي الاشنة او شيبة العجوز كما سماها ابن البيطار. وهذه الاشنات تؤكل وتحتوي نشا كثيراً ويسمى هذا النوع (المن السماوي او المن الساقط من السماء) ويكثر (في ايران وحول جبال ارارات في تركيا).

٧ ـ الدردار (الاسم العلمي ـ Fraxinus ornus) وهي اهم مصادر المن في الوقت الحاضر. (تكثر في جنوب اوروبا وبالاخص في ايطاليا). وقد سمى ابن البيطار هذا النبات (لسان العصفور) ولهذه النباتات انواع كثيرة لكن الذي يهمنا هنا النوع الذي يسمى (لسان العصفور المزهرة او الدردار المزهرة) وهي الشجرة التي تنتج المن وتسمى (ديش) كذلك. ويعتبر المن الجيد الذي يجلب من منطقه (كالابريا ـ في جزيرة صقلية الايطالية) وهذا النوع نفسه الذي ذكره راوولف انه شاهده في حلب. وهذا يؤكد ان هذه الاشجار قد نقلت الى اوروبا عن طريق صقلية وهذا المن يتصف باللون الاصفر الجاف الى البياض وله طعم حلو تتخلله مرارة خفيفة.

ويشير الدكتور جابر الشكري حول تكون المن بقوله: «والمن الذي يؤخذ من بعض انواع اشجار الطرفاء او الاثل او غيرها يسيل من شقوق تحدثها بعض الحشرات التي تعيش على هذه الشجيرات ولايستبعد ان يكون لهذه الحشرات دخل في تكوين المن. وهذا النوع من المن هو المأخوذ من طور سيناء، وورد ذكره في القرآن الكريم.

ويظن بعض العلماء ان المن الذي نزل على بني اسرائيل هو نوع من الاشنات تنبت على الحجر أو الشجر، غنية بالنشا، حلو الطعم يؤكل، وليس هذا المن الذي نعرفه الآن.

ان المن من نوع الراتنجات أو الصموغ التي تنضح من النباتات ويحصل عليه من احداث شقوق في لحاء الاشجار التي عمرها بحدود ثماني سنوات، حيث يسيل النضح من هذه الشقوق، ويجمع في أوعية خاصة او يترك على اللحاء حيث يجف ثم يجمع».[١٣] واثناء وصفه مدينة حلب ذكر الدكتور راوولف ان هناك الكثير من نباتات التوابل تجلب لهذه المدينة من بلدان اخرى. قال: «وهم يجلبون الى هنا كثيراً من الافاويه من امثال (الدار صيني) والدار صيني قرفة سرنديب، قرفة سيلان، دارسين (العراق) الاسم العلمي (Cinnamomum Zeylanicum) والانكليزي (Common Cinnamon tree, Cinnamon).

شجرة زراعية من الافاوية، موطنها سيلان وبعض مناطق الصين المتاخمة للهند. ساقها فرعاء تصل الى عشرة أمتار في الارتفاع ازهارها صغيرة الحجم غبراء اللون. ازهارها عنقودي التجميع. الثمار عنبية جميع اعضاء الشجرة عطرية تستخرج منها الادهان والطيوب. ويستخرج من لحاء الساق والفروع صنف جيد من الافاويه المسماة بالدارسين عندنا في العراق.[١٨]

الفلفل والفلفل ـ لهذا النبات حوالي ٦٠٠ نوع ولكن يبدو ان الذي ذكره راوولف في رحلته هو الفلفل المسمى بالحلو او فلفل إفرنجي اسمه العلمي (Pimenta) والانكليزي (Allspice, pimento) وهي شجرة برية وزراعية من فصيلة الآسيات تكثر في

البلاد الحارة ثمارها بقدر حبة الحمص، قرمزية اللون، عطرة، يستخرج منها عطر ويستعمل مسحوقها في الاكل كتابل ممتاز.[٦٥]

الميل والميل ـ يسمى ايضاً هال، هيلبوا، قاقلة، شوشمة، شوشمير الاسم العلمي (Amomum) نباتات جذمورية طيبة عطرية برية وزراعية من فصيلة الزنجبيليات من نباتات المناطق الحارة انواعه عديدة، تنتشر في الهند والهند الصينية وجزيرة جاوة والصين وسيلان. المستعمل منها بذورها المسماة (حب الهال او الميل). وهي بذورها ضمة ومنبهة للقلب وللقوة الجنسية طاردة للرياح، مسكنة للمغص ومدرة للطمث وكذلك ادهانها،[٦٦] واعتقد ان الميل الذي ذكره راوولف هو النوع المستورد من سيلان. جوز الطيب وجوز الطيب ـ جوزبوا، بباسة، الطيب، الاسم العلمي (Myristica Fragrans) والانكليزي (Nutmeg tree) من نباتات البلاد الاستوائية المستعمل من هذا النبات ثمارها شبه الكروية الشكل، لحمية القشور اصفر اللون كالمشمش، قطرها ٥سم قشرة الثمرة تنفلق عند النضج عن جوزة خشبية الغلاف، سمراء اللون. وجوز الطيب. من التوابل العطرية المستحبة دهنها منبه شديد الفاعلية وهاضم وطارد للرياح وهذه النباتات اشجار هرمية الشكل تعلو الى حوالي ١٠ أمتار[٦٧]. وقشر جوز الطيب وغيرها من الجذور الصينية التي يستعملها العرب بوفرة جذور ثمينة يسمونها «الراوند»[٦٨] والراوند ـ الاسم العلمي (Rheum) والانكليزي (Rhubarb). نباتات عشبية جذمورية طيبة معمرة من فصيلة البطباطيات، انواعه كثيرة، كبيرة الحجم. ضمية الاوراق. ازهارها عثكولية. الثمار علبية.

وتابع وصف الدكتور راوولف للنباتات من خلال رحلته المشرقية هذه فيقول:

«من بين المواد التي يجلبها التجار من الهند بعض القصب الطويل الصلب المملوء بمادة لزجة ذات لون اصفر. ويكون هذا القصب على نوعين قصير وطويل. فاما الطويل فهو اصلب ويستعمله الشيوخ والعرج بدلاً من العكاكيز اما النوع الآخر فيصنعون منه القسي والسهام حيث تجد الاتراك يغلفونها باغلفة حريرية مختلفة الالوان ويتباهون بها كثيراً.

كذلك توجد في الحوانيت انواع اخرى من القصب القصير المجوف الصقيل ذي الالوان البنية والحمر. وهذه الانواع يستعملها الاتراك والمسلمون وغيرهم من ابناء الاقطار الشرقية لغرض الكتابة بها، ذلك انهم لايستعملون ريش الاوز لهذا الغرض. وفضلاً عن ذلك يوجد نوع من العصي يجلبها الحجاج معهم من «مكة»[٦٩] حين يذهبون لزيارة قبر نبيهم (محمد) «ص». واهل تلك البلاد ولاسيما العرب يحملونها معهم على ظهور الخيل بدلاً من الرماح لانها قوية وطويلة وخفيفة. . .».[٧٠]

ربما قصد هنا الدكتور راوولف القصب الهندي (Canneguin chan) الذي يصل طوله في النمو الى اربعة امتار في داخل التجويف مادة سكرية صفراء اللون. وعني بوصفه هذا القصب الصيني (Canne dechine) وهو اصفر اللون متوسط الارتفاع ينتشر في الصين والهند والهند الصينية كان التجار العرب يجلبونه من الهند على متن السفن.

وهناك انواع عديدة يجلبها التجار العرب المسلمون من الهند والصين من القصب الذي كان يستعمل فعلاً لاغراض الكتابة وكسهام ورؤوس للحراب المستعملة في الحروب ومن اشهر هذه الانواع القصب الفارسي (Arundo isiaca).

ويستغرب الدكتور راوولف من وجود شراب غريب عرفه بالقهوة كان في وقته غير معروف في اوروبا. ولنستمع لوصفه: «من بين الاشربة التي يتعاطونها في هذه البلاد، شراب حسن جداً يسمونه «قهوة» اسود اللون كالحبر تماماً، وهو مفيد جداً للمرض ولاسيما امراض المعدة. . . وهم يصبونه في اقداح صينية وهو جداً ساخن فيرفعون القدح الى شفاههم لكنهم لايتناولون منه سوى شفة واحدة بين آونة واخرى.

وتدار عليهم هذه الاقداح حين يجلسون وهم يصنعون في هذا الماء ثمرة يدعونها[٧١] (بنرو ـ Bunru)، هي في حجمها وشكلها ولونها تشبه ثمرة التوت، ولها قشرتان رقيقتان تحيطان بها. وقد انبأوني عنها بانهم يجلبونها من الهند».[٧٢]

القهوة او البن التي ذكرها راوولف هي شجيرات برية وزراعية (الاسم العلمي Coffea) والانكليزي (Coffee tree). موطنها الاصلي الحبشة وقد انتقلت بواسطة العرب الى اليمن والهند وامريكا الجنوبية وهي من نباتات المناطق الحارة الاستوائية. اوراقها دائمة الخضار. وازهارها بيض عطرية. المستعمل منها حبوبها المنبسطة اخدودية من الداخل، لونها اخضر باهت. والقهوة هي نقيع البن المحمص المسحوق المغلي في الماء.[٧٣]

عندما وصل راوولف مدينة الفلوجة الحالية في محافظة الانبار عن طريق نهر الفرات قادماً من حلب قال: «لم ار هنا اية نباتات تستحق الاهتمام سوى الخلجان الذي يسمى عندنا في هولندا باسم (السذاب) وهو ينمو بكثرة في الوديان الجافة. كما شاهدنا على مقربة من الطريق اول نوع من شجرة نسميها نحن (سم الكلب) وهي باوراقها وعلوقها تشبه (شجرة الخالدين) شبهاً كبيراً. كما شاهدنا مساحات شاسعة من الاراضي مزروعة بنوع من القمح التركي ندعوه «جلجان» بالاضافة الى مساحات اخرى زرعت بالقطن وباشجار (الايسولا) المليئة بالحليب وهذه تغطي مساحات واسعة من الاراضي الخالية التي يمكن زرعها بالقمح.

ولقد وجدنا هنا نبتة (السمقونيا) التي يؤتى بها الى حلب والتي يمكن مزجها مع حبات الايسولا. وعلى مقربة من المدينة كانت اشجار (الاكاسيا) تنمو بكميات وفيرة وهم يسمونها هنا باسم (الشوك) والشاموك وثماره اكبر حجماً واكثر وفرة مما رأيت من امثاله في اي مكان آخر.»[٢٩]

والخالنجان او الخولنجان (الاسم العلمي - Alpinia galanga) والانكليزي (galingale) عشب املس ريزومي معمر طبي، له رائحة عطرية طعمه شديد الحرافة، والجزء المستعمل طبياً هو الريزومات. وهو ليس السذاب كما اشار بذلك راوولف واوراقه تشابه اوراق السذاب وبالاضافة الى استعماله الطبي يعتبر قابلاً حسناً ذا نكهة طيبة.

وكان العرب يشربونه مغلياً في اللبن ضد السعال والبرد وكمقو للباه ونقل العقار الى اوروبا وظل يستعمل كمنبه عطري معوي الى عهد قريب.[٣٠]

ونبات (سم الكلب او قاتل الكلب) الذي ذكره راوولف يسمى ايضاً (خوشان، خانق الكلب) اسمه العلمي (Apocynum) والانكليزي (Indianhemp, Dogsbane) شجيرات طبية معمرة من فصيلة الدفليات، ساقها وفروعها ليفية منتصبة، ازهارها صغيرة جرسية، ثمارها نحيلة مستطيلة، بزورها دقيقة. يستفاد من البزور والاوراق في عدة مستحضرات طبية مسهلة ومقيئة. ويستخرج من الياف خيوط كالقنب.[٣١]

وذكر راوولف عن قمح سماه الجلجلان وهو ليس بقمح انما هو السمسم او السمسق (الاسم العلمي Sesamum olelfrum) والانكليزي (Sesame, Gingelly, Gingili). نبات عشبي حولي زراعي دهني من السمسقيات، جذوره وتدية يستفاد من بزوره الزيتية التي يستخرج منها بالعصر. والبزور صغيرة الحجم مفلطحة اهليلجية، لونها يختلف بالوانها مابين الابيض والبني والاصفر والاسمر والاسود. يكثر في الهند وبلاد الشرق العربي.[٣٢] وذكر راوولف نباتاً سماه الايسولا (Esula)، وهو عشب يسمى في العراق باسم (الزريقة) بتشديد الراء.

يجمع البدو بزورها السمراء اللون وهي بحجم حبة العدس حيث يحمصونها ومن ثم ياكلونها وتضم اوراق هذه النباتات مادة حليبية.

وذكر راوولف نبات السمقونيا (المحمودة) (الاسم العلمي Convolvulus Scammonia, C. Synacus) والانكليزي (Scammony plant). نبات عشبي طبي ليفي عارش من فصيلة اللبلابيات. ازهاره بوقية الشكل، صفراء اللون مشربة البياض. يستخرج من جذوره عصارة راتنجية صمغية لها استعمالات كثيرة في الطب.[٣٣]

ونوع اشجار الاكاسيا او الاقاقيا التي ذكرها الدكتور راوولف الاكاسيا العربية او سنط عربي او قرظ او شوكية قبطية، الاسم العلمي (Acacia arabica) والانكليزي (Gum — Arabic tree).

شجرة برية وزراعية مبذولة تكثر في الشرق العربي.[٣٤] ويستخرج منها الصمغ الاحمر. واغصانها مشوكة مما حدا باكثر الناس ان يعتبروها احد انواع الشوك وازهارها ذات عطر حسن. ووصف راوولف نباتاً يصطاد بواسطة بذوره الاسماك في نهر دجلة عند مكوثه في بغداد قائلاً: «وحين اراد ملاحو قاربنا اصطياد السمك شرعوا يرمون في النهر بحبات ممزوجة بمادة (الكوكولوس - Cocculos) وهو ثمر يسمونه (دم السمك) فبعد ان يطفو السمك على سطح الماء تماماً يقفز الملاحون من القارب ويمسكون باعداد منه».[٣٥] والكوكولوس التي ذكرها راوولف في رحلته نبات يسمى سم السمك او قاتل الحوت (سمي كذلك لانه يقتل السمك اذا خلط بالماء) - سيكران الحوت ويسمى بالفارسية (ماهيزهره - ماهيز هرج اي سم السمك) من العائلة (Menispermaceae) واسمه العلمي (Anamirta Cocculus, Anamirta paniculata) والانكليزي (Cocculus indicus plant).[٣٦]

وعندنا في العراق يعرف باسم (الزهر) لثمر هذه العشبة

البرية، وهذا الثمر عبارة عن بذور مثل بزور الفلفل اسمر اللون يحتوي على مادة سامة يستعملها صيادو السمك بعد ان تسحق وتخلط بالعجين او اي مادة اخرى وتلقى في النهر وعندماتتناولها الاسماك تتسمم وتطفو على الماء وهو صيد سهل لكن القانون العراقي يحرم العمل به بشكل صارم.

وجاء في الموسوعة في علوم الطبيعة الجزء الاول، ص ٥٧٠: (سنديل «الاسم العلمي Anamirta paniculata» والانكليزي «Cocklespiant, Cocculusindicus» نبات بري وزراعي معمر وحيد الجنس والنوع من فصيلة القَمَريات. موطنه البلاد الحارة اخصها الآسيوية. ثماره طيبة مخدرة، مسهلة ومقيئة شائعة الاستعمال تدعى سم السمك).

وذكر راوولف نبات الزرنب وقال ان جذور هذا النبات تستعمل في معالجة اوجاع الظهر.[٣٧] وهذا النبات المسمى ايضاً (زرنباد، زرنبة اسمه العلمي Zingiber Zerumbet, Amomun Zerumbet) والانكليزي (Wild ginger, Broad — leaved ginger).

هو نبات بري طبي جذموري من فصيلة الزنجبيليات. له عطر نافع للفم ويزيل روائح البصل والثوم منه. وهو كذلك منبه معوي يحلل الرياح ويقوي القلب، الساق منتصبة حولي يصل من ١٠٠ ـ ١٢٠سم بالارتفاع، ازهاره هامية كبيرة الحجم ذات لون كبريتي محمر.[٣٨]

وله ايضاً فوائد طبية اخرى لمعالجة اوجاع المفاصل والظهر وغيرها. واشار الدكتور راوولف اثناء سفره في نهر الفرات في احدى السفن الصغيرة متوجهاً الى العراق قادماً من سوريا الى مجموعة من النباتات قائلاً: «وكنت اغتنم الفرصة حين نزولنا الى اليابسة فاروح افتش عن النباتات القريبة في المكان. ولقد عثرت على انواع خاصة من نبتة «الازهار المحززة» وهي تشبه النوع المعروف منه في بلادنا لكن ليس لها ذات ميزاته، ونوع من شجر (العجرم) من فصيلة ذكرها المؤرخ «كلوفيوس» وهو ذو اوراق سميكة تشبه شجرة (الودنة) فضلاً عن السذاب ونوع غريب من الصفصاف يسميه السكان بأسمه القديم هو (الغرب)، بالاضافة الى الطرفاء وهي من انواع كبيرة وعالية تشبه اشجار التوت والنخيل مما يمكن مشاهدتها من بعيد بسبب ضخامتها وارتفاعها وهي تشبه الطرفاء في بلادنا لكنها اكثر ضخامة وارتفاعاً، واوراقها طرية ذات رؤوس وردية الالوان».[٣٩]

والعجرم = (باقل ـ ثغام «الجزائر» ـ بلبل «بربرية» ـ شعران «العراق» ـ نشمة. (الاسم العلمي Anabasis articulata, Anabasis prostrata) اشجار شائكة من انواع العفص من الفصيلة (Salsolaceae) ونبات الودنة (House leek) شجيرة صغيرة لها سوق سميكة وازهارها وردية اللون.

وجاء ذكر السذاب في وصف راوولف وهو سذاب البر وهو عشب طبي بري (اسمه العلمي Ruta montana) والانكليزي (Mountain rue, wild rue). يرتفع الى حوالي ٨٠سم. ساقه ليفية خيلة اللحاء. الازهار، صفر باهتة.[٤٠]

واندهش راوولف من احد انواع اشجار الصفاف الذي اعتبره نباتاً غريباً. والذي ذكره الدكتور راوولف هو الصفصاف مستح او الصفصاف الرومي وهو غَربٌ (واحدته غربة) وهي (الخلاف ايضاً)، صفصاف رومي (مصر)، إطاً (يونانية Itea) (الاسم العلمي Salix babylonica) والانكليزي (Weeping Willow, mouming willow) شجرة متوسطة الحجم تصل الى ارتفاع عشرة امتار، فروعها منبسطة، اوراقها سنانية ضيقة، يحب الاراضي الكثيرة الماء، يستفاد من سيقانها في بعض الصناعات الخشبية.[٤١]

والطرفة الذي ذكرها راوولف من خلال رحلته هو (الأثل العراقي المسمى طرفة او أثل دجلة ـ Tamarixtigrensis). وهي اشجار وشجيرات من فصيلة الاثليات او الطرفيات اوراقها حرشفية، ازهارها سنبلية التجميع صغيرة بيض أو وردية اللون. ينمو في جميع الاتربة من الرملية الصحراوية الى الطينية ومن الجافة الى المائية وهو يصلح للسياجات الحية قرب الشواطيء فهو لايتأثر بالاملاح البحرية، يستفاد من اخشابه في عدة صناعات زراعية وصناعة السفن الصغيرة والمتوسطة. ويوجد نوع يسمى بائل المن (Tamarix mannifera).[٤٢] اي (الطرفاء) يجني منها مادة سكرية غذائية تسيبها حشرة غشائية الاجنحة تؤخز الزهر وجرادة الاملوج فتعسل المن المعروف بالطرفة.

وتحدث عن نبات يبدو على مايظهر انه يشاهده لاول مرة عندما قال: «... كما وجدت بعض الاشجار الاخرى التي يسمونها بالعاقول».[٤٣]

والعاقول (حاج ـ اسمه العلمي ـ Alhagi mannifenum, Amaurorum) والانكليزي (camel thorn, Hebrew manna plant) ولم يكن العاقول اشجاراً بل شجيرات عشبية ليفية مخشوشبة معمرة من فصيلة القرنيات ساقه شائكة فرعاء تصل في الارتفاع الى اكثر

من ١٠٠سم. الفروع نحيلة الشوك، اوراقه بسيطة كاملة مستطيلة.»[١٣]

وفي مكان آخر تناول راوولف جانباً آخر من دراسته للنباتات التي بذل من اجلها الغالي والثمين للظفر بمعلومات كافية عنها، قال: «وهناك انواع اخرى لاعشاب لطيفة وغريبة تنمو بكثرة في الرمال. ولكل واحدة من هذه النباتات مابين خمسة وثمانية اسواق يدخل احدها في الأخر ولها مفاصل كثيرة ولذلك تنمو وهي تزحف فوق الارض اكثر مما تنمو قائمة. وتنبثق من كل واحدة ثلاث أو اربع اوراق مدورة تشبه اوراق شجر السماق والزعتر وتظهر فوق كل نبتة من هذه نجمة تشبه الزهرة البيضاء ذات ست اوراق مدببة وهي بهذا تكون شبيهة بنبتة (ورنبثوغالوم) المعروفة عندنا، وكل واحدة منها ذات سوق خاصة، ولم ار فيها اية حبوب وكانت جذورها صغيرة ونسيجية وهي مشابهة في شكلها للنبتة المتعددة الاوراق التي ذكرها ديسقوريدس».[١٤]

وجاء ذكر السماق في رحلة راوولف وهو يقصد ذلك النوع المسمى (سماق الدباغين، تمتم. الاسم العلمي Rhus coriaria) والانكليزي (Sumach, Tanners sumach). وهو النوع المعروف المبذول في لبنان وسوريا، شجيرة تصل في الارتفاع من ١٠٠ ـ ٤٠٠سم، لها ازهار خضراء اللون، البذور شديدة الصلابة مصقولة، اوراقه دباغية، (ثماره من النوابل الحامضة العافصية).[١٥]

واما الزعتر الذي ذكره راوولف فهو نبات (Origanum) طبي بري عطري. ويسمى ايضاً صعتر او سعتر.

وكان وصف راوولف لنبات شبيه بنبات (الاورنبثوغالوم) انما هو في الحقيقة لنبات يعرف في علم النبات العربي باشراس صوصلاء او صاصل او لبن الطير من فصيلة الزنبقيات.

وهو بالذات (الاشراس الخشى ـ Ornithogalum Stachyoides, ornithogalum arabicum) والانكليزي (Star of Bethlehem). كبير الازهار الخضراء اللون ينبت برياً في بعض المناطق من سوريا وفلسطين. ويستخرج من بصله نوع من الشراس الجيد.[١٦]

وعند وصول راوولف الى مدينة (عنه) عن طريق نهر الفرات وصفها وصفاً موضوعياً قائلاً: «تشتهر هذه المدينة بجمالها وذلك لكثرة الاشجار المثمرة فيها من امثال الزيتون والليمون والبرتقال والرمان والليمون الحامض وكذلك اشجار النخيل التي لم ار لها شبيهاً بما شاهدته من امثالها في سفراتي.

فقد كانت هذه النخيل سميكة وصلبة للغاية وحين ذهبت مع بعض رفاقنا الى المدينة وجدنا كميات كبيرة من الفواكه لم تعجبهم اطلاقاً وقد رأينا بينها نوعين من الفواكه التي اعتادوا جلبها الى بلادنا احدهما احمر اللون والآخر اصفر اطلق عليهما «سيرابيو» اسم «هيرون» وذلك في الفصل التاسع والستين من كتابه، ومع انهما اقل حجماً مما هو لدينا الا انهما من نوع جيد وذي طعم لذيذ».[١٧]

وهذه الفاكهة التي ذكرها راوولف هي بالاحرى ثمار نبات النبق (السدر) الذي يبدأ باللون الاخضر وبعد ذلك يصفر ويحمر. والنبق اشجار كبيرة ولاوراقها واثمارها فوائد طبية.

ويستمر راوولف في وصف نباتات منطقة الانبار الحالية وهو متجه الى بغداد، يقول: «ولم ار في الطريق من النباتات الغريبة سوى ماشاهدته في حقول القمح من نبات (الماش) العربي الذي اشرت اليه قبلا والذي يظن عنه انه هو نبات (كوركورم) الذي ذكره (بليني) وكوركوروم Corchorum، نبات متسلق ذو ازهار صفراء اللون. كذلك رأيت نبتة اخرى تشبه السمسم الا ان ساقها اطول وامتن، وهي تحمل ازهاراً صفراً ذات عروق حمر او بنية اللون تنتهي بعقد طول الواحد منها بقدر الاصبع وبمقدار سمكه ومدببة عند الرأس، ولها خمسة أصناف تحوي البذور التي تشبه نوعاً من الخباز الذي يسمى (ابو تيلون).

ولقد استفسرت كثيراً عن هذه النبتة فلم اجد لها اسماً آخر غير الاسم الذي يطلق عليها وهو (اللوبيا الهندية)، ولكن طبقاً لمعلوماتي اعتبر هذه النبتة هي (النفل) التي اشار اليها (ثيوفراستس) في اماكن عديدة من كتابه».[١٨]

ونبات ابو تيلون الذي ذكره راوولف هو اعشاب مخشوشبة الساق من فصيلة الخبازيات. انواعه عديدة تنتشر في جميع انحاء البيئات الحارة والمعتدلة. وهذه النباتات لها اثمار دولابية النفاج عند النضج ويستفاد من اوراقه اللعابية اللزجة كملين ومن بذورها كمدر للبول ومن سوقها والياف قشورها للغزل والنسيج.[١٩]

واللوبيا الهندية الذي قال عنها راوولف هي نفس اللوبيا او اللوبياء في بلادنا اليوم وتسمى علمياً (Dolichos unguiculatus) والانكليزي (Black eyed dolichos, Asparagus bean). وهي نباتات عشبية زراعية من فصيلة القرنيات الفراشية. انواعها عديدة

تزرع لقرونها الخضر البقلية او لبزورها الجافة. وهي تنمو في جميع الاتربة القليلة الاندماج الممكن ريها.»[٥٠]

وقد اخطأ راوولف عندما اعتبر اللوبيا هي نفسها نبات الفل. فنبات الفل (الاسم العلمي Trifolium) والانكليزي (Clover) هو البرسيم نفسه وهي نباتات عشبية من فصيلة القرنيات الفراشية انواعه المعروفة حوالي (١٥٠ نوعاً) اكثرها بري مرعوي وبعضها زراعي علفي ومنها الحولي والمعمر. جذورها تغور في التربة. اوراقها مركبة ثلاثية الوريقات. ازهارها مختلفة الالوان، البذور كلوية الشكل صغيرة الحجم، سمراء اللون.»[٥١] واوضح راوولف اهمية بعض النباتات العراقية في بعض الصناعات العسكرية، قال:

«وبارود المدافع هذا لايصنع من ملح البارود[٥٢] مثلما يجري ذلك عندنا في اوربا وانما يستخرج من عصير شجرة من نوع الصفصاف يسميه الفرس (فير) بينما يدعوه العرب بأسم «الغرب» كما اشرنا الى ذلك قبلا. فهم يقطعون الاغصان الصغيرة من هذه الاشجار واوراقها فيحرقونها ويحولونها الى مسحوق يلقون به في الماء الى ان تنفصل ذرات الملح عنه واذ ذاك يصنعون منه بارود المدافع، ومع ذلك فهذا البارود ليس قويا كالذي نصنعه نحن في بلادنا. ولقد اكد ذلك المؤرخ «بليني» في الفصل العاشر من الجزء الحادي والثلاثين من كتابه اذ قال: «ان الناس في الايام السالفة كانوا يستخلصون «النيتر»[٥٣] من اشجار البلوط».»[٥٤]

وقد وصف راوولف نبات الحنظل السام قائلاً: كذلك شاهدت على ضفاف النهر العالية كثيراً من نبات (الحنظل) لم استطع ان احقق منه عن بعد، الا انه لايزال حتى الآن معروفاً لدى السكان بأسمه العربي القديم وهو «الحنظل».»[٥٥] والحنظل او الحدج او مرارة الصحارى ايضاً ـ اسمه العلمي (Citrullus Colocynthis, Cucumis colocynthis) والانكليزي (Colocynth, Bitter apple) نبات حولي من فصيلة القرعيات يمد ويسير في الارض عند نموه له انواع كثيرة برية وزراعية. ازهارها صفر وثمارها صغيرة الحجم ومختلفة الاشكال فمنها القرعي والبرتقالي والاجاصي والبطيخي. القشر رقيق جامد، لبها اسفنجي التركيب، ابيض اللون، شديد المرارة والحرافة وهو من اشد المسهلات القوية المفعول وهو كان ولايزال من النباتات الطبية العامة.»[٥٦] واوضح راوولف عند مكوثه في بغداد انه وجد ان اهالي بغداد يستخرجون الزيوت من الجوز ولنستمع مايقوله: «كذلك استقطرت الزيوت من الجوز، وهو نوع جيد ومتوفر بكثرة، ومن الفستق الذي يحتفظ به السكان ويأكلونه مثلما نأكل نحن الانواع الصغيرة من الجوز في بلادنا. ولقد تناولت هذا الفستق فوجدته جافاً غير مستساغ. وهذا النوع يسميه العرب بأسم «بطم». ولقد شاهدت نوعين منه بحجم كبير وآخر صغير، والكبير منه يشبه جوزة الفستق لكنه اقل استدارة واقصر طولا. اما النوع الصغير فهو ذو قشرة صلبة تشبه حبة الحمص الكبيرة وهذه تماثل في شكلها النبتة المعروفة بأسم (قرن الغزال) او الذرة الهندية. وينمو الكثير من هذه في ايجنيا[٥٧] وفي فارس وبلاد مابين النهرين وارمينيا وغيرها. فهي بأوراقها الطويلة تشبه تلك الاشجار حيث يمكن تمييزها بيسر عن شجرة الفستق ذات الاوراق المدورة، وهي من النوع الذي قال عنه كل من الرازي وابن سينا انه ينمو في الهند».»[٥٨]

وقد خلط راوولف بين اشجار الفستق واشجار البطم حيث اعتبرها شجرة واحدة في حين ان الفستق اشجار زراعية معمرة تعيش اكثر من ٣٠٠ سنة. وهي من فصيلة البطميات. انواعها عديدة منبتها منطقة حوض البحر الابيض المتوسط من اشهرها الفستق الحلبي والتونسي والايراني والصقلي والمغربي والقبرصي وهي اشجار جبلية تتحمل درجات البرودة العالية وتساقط الثلوج. واشجار الفستق تصل في الارتفاع الى حوالي عشرة أمتار ثمارها زيتونية الشكل تتكون عند اكتمال نضجها من غلاف خارجي هش النسيج. ومن غلاف داخلي خشبي المادة مؤلف من مصراعين ينشقان عن صلام اصفر اللون مأكول تلفه قشرة رقيقة لونها الى الحمرة. الاسم العلمي للفستق (Pistacia vera) والانكليزي (Pistachio tree).[٥٩]

اما البطم[٦٠] (ضراوة) فهي شجيرة فرعاء تعلو من ٣ ـ ٥ أمتار الثمر كروية الشكل. يستخرج من لحاء سوقها مادة راتنجية فواحة كثيرة الاستعمال، ثمرته تدعى (الحبة الخضراء). قال ابن سينا: «انه يجلو الجرب والقوباء» وقال الانطاكي:[٦١] «اوراقها تسود الشعر طلاء. والحب يسخن الصدر والمعدة ويقطع البلغم ويزيد القوة الجنسية ويسمن عن تجربة. ودهنه يحلل اوجاع العصب وحصر البول شرباً ويصلحه العسل. وشربته الى عشرة». الاسم العلمي للبطم (Pistacia terebinthus P. cabulica) والانكليزي (Turpentine tree, Terebinth tree).

والبطم من فصيلة البطميات. واشهر انواعه البطم الاخضر، برزق (الاسم العلمي Pistacia khinjuk) والانكليزي (East Indian mastiche) وهذا النوع ينتشر في الهند ومناطق الشرق الاوسط ومن ضمنها العراق. وهناك نوع آخر المسمى بالبطم الشرقي او بطم مستكي (Pistacia lentiscus) وثمرة الاخير اكبر من البطم الاخضر وهذا ما جعل راوولف يذكر هذين النوعين.

وذكر راوولف نباتاً آخر شاهده اثناء رحلته قادماً الى بغداد قال: «لقد اشار «سرابيو» في الفصل الخامس والعشرين من كتابه الى ثمر آخر دعاه باسم «العنصل» وقد شاهدته انا وهو بقدر جوزة الفستق لين القشر، ولم اعثر عليه لدى اصحاب الحوانيت في هذه الانحاء».[٦٢]

والعنصل الذي جاء في وصف الدكتور راوولف هو[٦٣] إشقيل الخريف او بصل الفار او بصل الحية، اسمه العلمي (Scil- la autumnalis) والانكليزي (Autum nal aquill, Winter hyacinth). نباتات بصلية معمرة من فصيلة الزنبقيات. والثمرة بصلة غليظة اجاصية الشكل، بيضاء اللون، اوراقها قرصية مستطيلة ضيقة شديدة الخضار لامعة المواج. ازهارها صغيرة لبدة وردية اللون. وهو طبي ويدخل في تركيب عدة مستحضرات وعقاقير وهو يدر البول وينعش الصدر. و ينتشر على سفوح التلال والمرتفعات في المناطق الشرقية من العراق.

واطلق راوولف على شجرة مجهولة اسم شجرة الموز وقال: «وعن شجرة الموز التي تنمو في الجزيرة العربية وتحمل ثمراً حلواً طيب المذاق يسمونه (واك ـ Wac) وهو مدور الشكل احمر اللون بحجم البطيخ الهندي.

ترى هل كان هذا هو ثمر (المانغا) الذي اشار اليه كلوفيوس في تاريخه عن النباتات الهندية، والذي كان ينقل بسبب جودته الى فارس بحراً؟ فقد تركت ذلك لألم به فيما بعد».[٦٤]

والشجرة التي اعتبرها راوولف مرة موز ومرة اخرى مانغا (العنبة الهندية) هي في الاحرى الخوخ البري او الاجاص البري وهي شجيرات وجنبات حرجية زراعية من فصيلة الراتنجيات، انواعه كثيرة. مواطنها البلاد الحارة. اوراقها صغيرة بارزة العروق. ثمارها ماكولة. الاسم العلمي (Spondias) والانكليزي (Spondias, mombin, Hog plum tree) ومن اهم انواعها خوخ البر الاحمر وخوخ البر الحلو والخوخ الشائك.[٦٥]

واضاف معقباً بهذا الوصف (اما الموز الذي قيل عنه انه معروف في سوريا ايضاً، فهو شجر يحمل ثمراً صغير الحجم مقوساً ورقيقاً اصفر اللون يشبه البطيخ في شكله وهو حلو المذاق شهي الطعم، لكنه مضر بالصحة ولهذا السبب منع الاسكندر الكبير جنوده من تناوله».[٦٦] واثناء توجهه الى كركوك عن طريق نهر دجلة وصف راوولف بعض النباتات التي شاهدها قائلاً: «ورحت في اثناء مكوثي في ذلك المكان ابحث عن النباتات فيه لكنني لم اعثر على شيء منها لانها في ذلك الوقت كانت قد بدأت تبرز من باطن الارض. على انني عثرت على انواع من الخلنجان البري ذي جذور كبيرة ومدورة يسميه السكان (السرو) ويطلق عليه اليونانيون واللاتينيون اسم (سيبرَوس)».[٦٧]

وهنا وقع راوولف في خطأ كبير عندما اعتبر الخلنجان البري هو السرو. في حين ان الخلنجان (الاسم العلمي Erica) والانكليزي (Heath, Heather). شجيرات صغيرة برية وزراعية من فصيلة الخلنجيات انواعه كثيرة تبلغ حوالي ٤٠٠ نوع ـ اوراقه هدبية الشكل قصيرة.[٦٨]

اما السر (الاسم العلمي Cupressus) والانكليزي (Cyp- ress tree) فهي اشجار حرجية كبيرة من فصيلة الصنوبريات لها انواع عديدة اهمها ١٥ نوعاً. اوراقها دائمة الخضرة، اوراقها عروة، فلسية، متقابلة الثمار اكراز كروية الشكل. بزورها صغيرة مجنحة.[٦٩] والجذور التي شاهدها راوولف هي حسب اعتقادي جذور اشجار السرو لانها تتناسب وحجوم وضخامة هذه الاشجار الخشبية التزينية.

وعند وصوله الى مدينة الموصل وصف بعض الانواع من الفاكهة، قال: «ولقد شاهدت نوعين من هذه الفواكه من جنس الجوز باحجام كبيرة وصغيرة يسميه السكان باسم (البندق) كما شاهدت نوعاً من البطيخ كبير الحجم بقدر قبضتي اليد كثير الانتشار هنا قيل لي عنه انه يؤتى به من ارمينيا، وهو صلب اسمر اللون ليس حلو المذاق وهو كالبقطين ومع ذلك فهو حسن صالح للأكل ويحتوي على بذور صغيرة حمراء لايشاهد المرء حين تناوله وهو يحل الجسم لكن ليس بالشكل المعروف عندنا من هذا الثمر.

وقد اعتاد السكان ان يتناولوه بكميات كبيرة عند الصباح مثلما يفعل ذلك سكان جبل لبنان بالنسبة الى الجبنة. ولكن هل كان هذا هو (المن الحجازي) الذي اشار العرب اليه، ام هو النوع الذي اشار اليه (ابن سينا) في الجزء الثاني، المقالة الثانية

من الفصل الخامس والسبعين، فذلك امر لم اتحقق منه».[٣٠]

لقد خلط راوولف في وصفه هذا النوع بين فواكه المكسرات فهو يعتبر الجوز والبندق نوعاً واحداً كبيراً صغيراً ولكن لكل من هذين النباتين مميزات خاصة به ويختلف بعضها عن بعض في امور علمية كثيرة.

فالجوز اشجار كبيرة من فصيلة الجوزيات، اسمه العلمي (Juglans regia) والانكليزي (Walnut tree). انواعه كثيرة، تصل الاشجار الى ٢٤ متراً ارتفاعاً. ثماره لذيذة اللباب المستحب الطعم، قشورها الخشبية غليظة سميكة. ملساء البشرة، سريعة التفكيك ولون الثمر جوزية اللون، اول تكوين الثمرة تكون بجلد اخضر لين وشيئاً فشيئاً يصلب ويبس فيتغير لونه. وينتشر الجوز في شمال قطرنا العراق وبالاخص المناطق المرتفعة.[٣١]

اما البندق فهو اشجار وشجيرات برية وزراعية من فصيلة التوليات السوماليات انواعه قليلة. والنوع الذي شاهده راوولف في مناطق الموصل ومايحيط بها او قريب منها هو البندق البري، الاسم العلمي (Corylus Sylvestris) والانكليزي (Wild filbert). تعلو هذه الاشجار الى حوالي ٦ ـ ١٠ أمتار.

مواطنها تركية ومنطقه البلقان وشمال العراق وشمال غربي ايران، ساقها ملساء. ثمارها صغيرة خلية القشرة مستطيلة الشكل.[٣٢]

وشاهد راوولف ماالسماء بطيخاً اسود اللون وله بذور حمراء. وهو بالحقيقة الرقي كما يسمى في العراق وسوريا نسبة الى مدينة الرقة السورية. وفي بعض الأقطار العربية يسمى بطيخ او بطيخ احمر او دلاع كما في المغرب او بطيخ هندي اوفريز، اسمه العلمي (Citrullusvulgaris, Cucumis Citrullus, Cucurbita citrullus) والانكليزي (Water — melon).

والرقي نبات عشبي حولي بري وزراعي من فصيلة القرعيات يزرع لثماره المأكولة. له انواع عديدة منها الصغير والكبير وباشكال مختلفة والوان مميزة كالاخضر الباهت والمقلم بالاخضر الباهت والغامق والاخضر المسود.

ولون البذور واشكالها مختلفة ايضاً فمنها الاسود والاصفر الباهت الاحمر. ومن المعروف ان احسن انواع الرقي في العراق مايزرع في محافظة نينوى بثماره وبزوره الحمر الكبيرة الحجم المرغوبة المأكل.

والرقي من الثمار المنعشة التي تروي الغليل وتدر البول وتفيد المصابين بالامساك والبواسير. وتبلغ نسبة الماء نحو ٩١٪ في الرقي و٨٪ من المواد السكرية.[٣٣]

وهو ليس المن الحجازي او اي نوع من انواع المن الذي توهمه راوولف وتساءل عنه.

الهوامش والمصادر

١ ـ رحلة المشرق الى العراق وسوريا وفلسطين سنة ١٥٧٣م، ترجمة: وتعليق الاستاذ سليم طه التكريتي ـ بغداد ١٩٧٨، ص ٣٣.

٢ ـ ادوار غالب، الموسوعة في علوم الطبيعة ٣ أجزاء، بيروت، ١٩٦٥، ج ١، ص ٢٢٩.

٣ ـ رحلة المشرق، ص ٣٤، ومعلومات شخصية للكاتب.

٤ ـ ادوار غالب: الموسوعة في علوم الطبيعة، ج ١، ص٧١.

٥ ـ اعتقد ان هذا الرقم مبالغ فيه جداً؟ خاصة اذا علمنا ان المؤلف اراد بذلك انتاج منطقة حلب وحدها في ظروف القرن السادس عشر حين كانت طرق استخراج زيت الزيتون طرقاً بدائية!

٦ ـ رحلة المشرق: ص ٥٣.

٧ ـ سيرابو Serapio او سرابيون وسيرابيون ايضاً هو احد مطارنه معبد شيوس في دلتا النيل بمصر. وتوفي هذا الرجل في حدود سنة (٣٥٠ للميلاد) له كتاب في الصلاة.

٨ ـ يقصد كتاب القانون الشهير لابن سينا وهو من اهم الكتب العربية الذي ظل يدرس في الجامعات الاوربية حتى القرن السادس عشر.

٩ ـ كارلوس كلوسيوس ـ Carlus Clius، عالم نباتي ومؤرخ لاتيني معروف له كتاب موسوعي موسوم «تاريخ النبات في البلاد الاجنبية».

١٠ ـ رحلة المشرق: ص ٥٤.

١١ ـ ادوار غالب: الموسوعة في علوم الطبيعة، ج ٢، ص ١٤٣.

١٢ ـ ادوار غالب: الموسوعة في علوم الطبيعة، ج ٢، ص ١١٨.

١٣ ـ النباتات الطبية والعطرية عز الدين رشاد، القاهرة، ١٩٦١، ج ١، ص ٧٠.

١٤ ـ كابرية: منطقة في جزيرة صقلية الايطالية كانت احد مراكز العرب العلمية والثقافية عند حكمهم لها وقد نقلوا الكثير من النباتات المفيدة لها وزرعوها هناك.

١٥ ـ رحلة المشرق: ص ٧٢ ـ ٧٣.

١٦ ـ د. جابر الشكري: المن من السماء، مجلة التراث الشعبي، العددان ٥ ـ ٦، س ١٥ ـ بغداد ١٩٨٤، ص ١١٨ ـ ١١٩.

١٧ ـ المصدر السابق، ص ١١٩.

١٨ ـ الموسوعة في علوم الطبيعة الجزء، ص ٢٨٦.

١٩ ـ المصدر السابق، الجزء ٢، ص ٢٥٠.

٢٠ ـ الموسوعة في علوم الطبيعة، الجزء ٢، ص ٥٩٧.
٢١ ـ المصدر السابق، الجزء الاول، ص ٢٧٩.
٢٢ ـ الرحلة المشرقية، ص ٧٥.
٢٣ ـ ولايخفى ان قبر الرسول (ﷺ) في المدينة المنورة، لامكة.
٢٤ ـ الرحلة المشرقية، ص ٧٦.
٢٥ ـ يقصد بها البن.
٢٦ ـ الرحلة المشرقية، ص ٨١.
٢٧ ـ الموسوعة في علوم الطبيعة، الجزء ١، ص ١٦٥.
٢٨ ـ الرحلة المشرقية، ص ٩٦.
٢٩ ـ عز الدين رشاد: النباتات الطبية والعطرية، الجزء ١، ص ١٩٨.
٣٠ ـ الموسوعة في علوم الطبيعة، الجزء ١، ص ٣٧٧.
٣١ ـ المصدر السابق، ص ٥٦١.
٣٢ ـ المصدر السابق، ص ٥٤٤.
٣٣ ـ المصدر السابق، ص ٥٧٢.
٣٤ ـ الرحلة المشرقية، ص ٩٩.
٣٥ ـ احمد عيسى: معجم اسماء النبات، بيروت، ١٩٨١ (ط ٢) ص ١٥.
٣٦ ـ الرحلة المشرقية، ص ١٠٦.
٣٧ ـ الموسوعة في علوم الطبيعة، الجزء ١، ص ٤٨٧.
٣٨ ـ الرحلة المشرقية، ص ١١٨ ـ ١١٩.
٣٩ ـ الموسوعة في علوم الطبيعة، الجزء ١، ص ٥٢٨.
٤٠ ـ احمد عيسى: معجم اسماء النبات، ص ١٦٠، الموسوعة في علوم الطبيعة، الجزء ٢، ص ٦٥.
٤١ ـ المصدر السابق، الجزء ١، ص ١٩.
٤٢ ـ الرحلة المشرقية، ص ١٣٠.
٤٣ ـ الموسوعة في علوم الطبيعة الجزء ٢، ص ١١٨.
٤٤ ـ الرحلة المشرقية، ص ١٣١.
٤٥ ـ الموسوعة في علوم الطبيعة، الجزء ١، ص ٥٥٩.
٤٦ ـ المصدر السابق، ص ٦٩.
٤٧ ـ الرحلة المشرقية، ص ١٥٠.
٤٨ ـ الرحلة المشرقية، ص ١٥١.
٤٩ ـ الموسوعة في علوم الطبيعة، الجزء ١، ص ١١.
٥٠ ـ المصدر السابق، الجزء ٢، ص ٤٢٩.
٥١ ـ المصدر السابق، ص ٥٧٥.
٥٢ ـ ملح البارود ـ Salt — peter هي نترات البوتاس الذي يدخل بشكل اساسي في الصناعات البارودية.
٥٣ ـ النيتر ـ Nitre Nter وتسمى ملح البارود وهي عبارة عن نترات البوتاس او آزونات البوتاسيوم.
٥٤ ـ الرحلة المشرقية، ص ١٦٠.
٥٥ ـ المصدر السابق، ص ١٦١.
٥٦ ـ الموسوعة في علوم الطبيعة، الجزء ١، ص ٣٣٠.
٥٧ ـ ايجبا ـ سماها ايجبا ـ Egerde وهو يقصد ايجين في ولاية ارزنكان التركية على الجانب الغربي من الفرات.
٥٨ ـ الرحلة المشرقية، ص ١٨٨.
٥٩ ـ الموسوعة في علوم الطبيعة، الجزء ٢، ص ٢٤٠.
٦٠ ـ المصدر السابق، الجزء ١، ص ١٥١ ـ ١٥٢.
٦١ ـ الرحلة المشرقية، ص ١٨٩.
٦٢ ـ المصدر السابق، ص ١٨٩.
٦٣ ـ الموسوعة في علوم الطبيعة، الجزء ١، ص ٧٠.
٦٤ ـ الرحلة المشرقية، ص ١٩٠.
٦٥ ـ الموسوعة في علوم الطبيعة، الجزء ١، ص ٣٨.
٦٦ ـ الرحلة المشرقية، ص ١٩١.
٦٧ ـ المصدر السابق، ص ١٩٣.
٦٨ ـ الموسوعة في علوم الطبيعة، الجزء ١، ص ٣٦٨.
٦٩ ـ المصدر السابق، ٥٣٦.
٧٠ ـ الرحلة المشرقية، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦.
٧١ ـ الموسوعة في علوم الطبيعة، الجزء الاول، ص ٢٧٩.
٧٢ ـ المصدر السابق، الجزء الاول، ص ١٦٨.
٧٣ ـ المصدر السابق، ص ١٥٢.

• • •

تحرير مدينة الفاو وبوابة النصر العظيم واعادة بنائها معركتان كبيرتان انتصر فيهما العراقيون.